المحاضرة رقم: 09

عنوان المحاضرة: الأدب الإفريقي المعاصر

المحاضرة رقم: 09

عنوان المحاضرة: الأدب الإفريقي المعاصر

توطئة:

عرف الأدب الإفريقي صنوفا شتى من أصناف الصعوبات والعراقيل والتحديات اللغوية منها والاجتماعية والسياسية، لقد واجه ما لم يواجهه أي أدب من الآداب الأخرى وعانى ما لم يعانه أدب آخر على وجه هذه المعمورة ضمن الاستعباد والطبقية والاسترقاق والاستغلال إلى الاستعمار ومحاربة اللغات الأصلية والتمين للغات الأجنبية في سعي دؤوب لاستلاف هوية الفرد الإفريقي وجعله تابعا،لقد ترك هذا التاريخ الدامي للقارة الإفريقية آثارا في شتى مجالات الحياة ولعل الأدب أحدها.

يطرح مصطلح الأدب الإفريقي حين التعاطي مع مفهومه عدة إشكالات ضمن الباحثين من يتعاطى معه استنادا إلى العامل الجغرافي، وآخر حسب العامل القومي أو العرقي وثالث استنادا لعنصري اللغة والثقافة، من هنا تأشكل مفهوم الأدب الإفريقي تماما كما حدث مع الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية.

تحديدات نظرية:

يرى الباحث المصري في الأدب الإفريقي، علي شلش أن "... هناك إجماع عام بين جمهور المستفرقين على أن الأدب الإفريقي مصطلح يعمي أدب المناطق التالية جنوبا للصحراء الكبرى حتى التقاء القارة بالمحيط...". [1]

استعار الشاعر الجنوب الإفريقي مازيسي كونني MaziseKunine (1980-2006) من الروائي الريودي جون بول ساتر Jean paulSartre عنوان مؤلفه: ما الأدب؟ فتساءل جوره ما الأدب الإفريقي؟ مجيبا عن هذا السؤال بقوله: "هو أجب منطقة تم تحديدها عاطفيا على أساس قاري" ثم راح يبحث عن أدق مفهوم لهذا التعبير فانتهي إلى القول بأن الأدب الإفريقي هو

[1] علي شلش، الأدب الإفريقي، المرجع السابق.

الأدب الذي يصور واقعا إفريقيا بجميع أبعاده بما في ذلك النزاع مع القوة المسيطرة على القارة والنزاعات داخلها، سواء أكن الأديب من أصل إفريقي أم من غيره...". [2]

ترى الكاتبة نادين غورديمر Nadine Gordimer (1923-2014) الحائزة على جائزة نوبل للأدب سنة 1991، وهي كاتبة جنوب إفريقية من أصول أوروبية، مناهضة للعنصرية، "أن الأدب الإفريقي هو أدب كتبه -بأية لغة كانت- الإفريقيون ذاتهم أو أي مجموعة أخرى بغض النظر عن لون بشرتهم ولكنهم يشتركون معهم في أن تجربة إفريقيا دون غيرها من مناطق العالم، قد شكلتهم عقليا وروحيا، ولكي يكون الكاتب إفريقيا يتعين عليه أن ينظر إلى العالم من إفريقيا وليس أن ينظر إلى إفريقيا من العالم... "[3]

****** هذه الرؤية للأدب الإفريقي من الرؤية السابقة للكاتب الجنوب إفريقي مازيسي كونيني من خلال عدم امتدادها لا بلغة ولا بلون بشرة الكاتب، وإنما تعتد فقط يكون إفريقيا وليس غيرها، هي من تشكل المرجع فكريا وعاطفيا وأيديولوجيا.

أما الشعار النيجيري كريستوفر أوكيغبو Christopher Okigbo (1932-1967) فيعرف الأدب الإفريقي بشكل يلفه الكثير من العموم بقوله "... الأدب الإفريقي هو الأدب الموجود في إفريقيا..." [4]

إن هذه الرؤية للأدب الإفريقي، على عكس الرؤيتين السابقتين، تفسح المجال للأدب المنقول إلى القارة السمراء ليصبح هو الآخر أدبا إفريقيا، وهو أدب لم تكن لتشكله التجربة الإفريقية، بل وقد تكون تجارب أخرى نقيضة للتجربة الإفريقية هي من شكلته.

- الإرهاصات الأولى للأدب الإفريقي جنوب الصحراء:

يؤرخ للأدب الإفريقي جنوب الصحراء والمكتوب منه باللغة الفرنسية تحديدا، ابتداءً من سنة 1921 وصدور رواية "باتولا" Batoula لـ: روني ماران René Maran، الذي كان يشتغل موظفا في الإدارة الاستعمارية في دولة إفريقيا الوسطى في تلك الحقبة الزمنية.

حاول روني ماران في هذه الرواية تعرية السلوكات الاستغلالية للاستعمار مبرزا في الوقت نفسه وجود ثقافة محلية رائجة لها هويتها الخاصة، وقد نال "ماران" عن هذا العمل جائزة جونكور Goncourd المرموقة، لكن سرعان ما تم فصله عن عمله في الإدارة الاستعمارية بعد أن ذاع صيت هذا العمل الأدبي الذي يعتبر بحق نقطة الانطلاق الأولى للأدب الإفريقي جنوب الصحراء المكتوب بالفرنسية.

---

[2] محمد البشير سميلا، إشكاليات الأدب الإفريقي، Alantologia.com/blogs/41373، في 2022/9/13 على الساعة: 10.25.

[3] سوزان باستين، الأدب المقارن، تر: أميرة حسن نويرة، الهيئة العامة لشؤون المطالعة الأميرية عصر 1889، ص 6.

[4] محمد البشير سميلا، إشكالات الأدب الإفريقي، المرجع السابق.

وقد ساهمت عوامل أخرى في ظهور هذا الأدب مجموعة من الحركات والتيارات والقوميات الأدبية لعل أبرزها حركة الزنوجية سنة 1905 (أرواح سوداء) أكبر مؤثر على هذا الأدب، فقد كان يعلن Web Duboisالأمريكية، وبعدما كتبه واب دوبوا Je suis unعن زنجيته أمام الملأ غير مبال بما قد يلحقه من أذى جراء هذا السلوك "أنا زنجي" وأنا فخور بهذا الوصف Nègre et je me glorifie de ce nom.

وكذلكحركة النهضة الزنجية (Mt: de la renaissance Négre) بزعامة هوكو لمكستن LangstonHugues وكلود مكايChaud Mc Kay اللذين دافعا بقوة عن هويتهما الزنجية في ظل أمركة شديدة العنصرية.

بالإضافة إلى حركتي الرجوع إلى إفريقيا Mt: de retour en Afrique وحركة الأنثروبولوجيين Mt: des Anthropologues.

كما كان لثورة الزنوج في سان دومنيك Saint Dominique التي تحولت إلى هاييتي Haïti (1804) دور مهم في بروز أدب زنجي متمرد.

وفي الثلث الأول من القرن الماضي ظهرت حركة أدبية زنجية ليت الوعي في السود فيما بعده سواء كانوا في إفريقيا أو في الشتات وقد ألهت العديد منه إنها حركة الزنوجية.

– حركة الزنوجية Mouvement de la négritude

*** مفهومها:**

يرى الشاعر السنغالي ليو جولد سيدار سنغور Léo PoldSuder Senghor (1906-2001) أن الزنوجية "هي مجموعة من المفاهيم والمرجعيات التي تؤثر في سلوك الزنجي وتحكم طريقة تفكيره وأسس علاقاته، وأن الزنجية هي التي تحكي التراث الثقافي الإفريقي." [5]

*** نشأتها:**

ظهر هذا المصطلح لأول مرة في دورية الطالب الأسود L'étudient Noir وأول من وظف هذا المصطلح هو الشاعر المارتنيكي إيمي سيزار Aimé Cesaire (1913-2008) مطالبا من خلال هذا التوظيف الحفاظ على خصوصية الثقافة الزنجية التي كانت في تلك المرحلة التاريخية تتعرض لفرنسة رهيبة، ويقول أحد أقطاب هذه الحركة وتحالف الثلاثة، ليون داماس Léon Damas (1912-1978) هن الهدف من تأسيس هذه الحركة "... سواء أكان كتاب الزنوجة جاؤوا من جزر الهند

[5]– Réflexions sur la culture,opcit, p: 122.

الغربية، أو من إفريقيا أو من مدغشقر فهدفهم واحد وهو رد الاعتبار للرجل الأسود والتأكيد على مساواته بالرجل الأبيض وكذلك التأكيد على الشخصية..." [6]وقد استلمت هذه الحركة من أجل تحقيق تلك العادات والتقاليد وطرق العيش في جميع أعمال رموزها.

*** أعلامها:**

من أشهر أعلام حركة الزنوجية:

1. ليو بولد سيدار سنغور LéoPold Sédar Senghor (1906-2001) شاعر سنغالي كان أول رئيس للسنغال، تنازل طواعية عن الرئاسة ****** *****، من بين أعماله "قربان أسود" (1948)، أثيوبيات (1956) ورثاء الصابيات (1969).

2. إيمي سيزار Aimé Césaire (1913-2008) هو شاعر ومسرحي مؤسس مجلة كراسة العودة إلى الموطن الأصلي (1939)، أجساد ضائعة (1950)، الأسلحة العجيبة (1946).

3Léon Damas (1912-1978) شاعر وكاتب مارتنبكي، ناشط ضد الكولونيالية إلى جانب سنغور وسيزار، من بين أعماله الشعرية ضياع Pigment poèmesnègres (1962)، أشعار سوداء في فضاءات إفريقية sur des aires africaines..(1948)

*** النقد الموجه لها:**

- يرى الروائي الكاميروني ميرفي منجو بيتي Mengo Bité أنه يجب مقاربة الواقع الزنجي من وجهة نظر اجتماعية لا من وجهة نظر عرقية كالوصاية الاستعمارية آئلة للزوال وأنه من الممكن جدا أن يكون هناك محاولات لقمع الأسود للأسود، هو ما حصل فعلا في كثر من الدول الإفريقية غداة الاستقلال، فالعلاقة إذن لم تعد علاقة الأبيض بالأسود وإنما علاقة القامع بالمقموع Rapport oppresseurs opprimés مهما كان عرقه.

- كما "كان وولي سوينكاWole Soyinka أحد أهم دعاة هذا الاتجاه المعارض للزنوجة، فازداد إنتاج الأدباء الأفارقة الذين يكتبون بالإنجليزية، فصدرت العديد من الروايات والدواوين الشعرية...". [7]

---

[6]حسن العوضي، في الشعر الإفريقي المعاصر، ط1، دار الهدى للصحافة والنشر والتوزيع، 2012، ص 54.

[7]حامد شيخ، المقامرة الغامضة، ط1، تر: محمد سعيد باه، المجلس الوطني للثقافية والفنون والأدب، ع 391، الكويت، 2012، ص 181.

– أتت كذلك فكرة معارضة الزنوجية من الجيل الجديد في جزر الأنتيل Antilles، الذين أصبحوا يولون الاهتمام الأكبر لخصوصيتهم الأنتيلية على حساب فكرة الزنوجة، ومن بين هؤلاء: بارنبي Bernabé،كونفيون Confiantوشاموازون Chamoiseau

– الأدب الإفريقي الشفوي:

بدأ الأدب الإفريقي عن طريق المشافهة باعتبارها وسيلة الاتصال الرئيسية في الحضارة الإفريقية القديمة، فقد كانت الأشعار والأساطير تنتقل من قبيلة إلى قبيلة ومن جيل إلى جيل عن طريق الرواية الشفوية، وكانت الرواية شفها متميزا بمكانة مرموقة في قبيلته لامتلاكه قدرة بلاغية خاصة، وتمتعه بقوة الذاكرة. [8]

ولأن المنطوق أسبق في الوجود من المكتوب فإن بدايات كل الآداب وفي مختلف الحضارات كانت شفوية كالملاحم والأساطير، والأشعار والأغاني الشعبية، "... ولا جدوى من أي محاولة للتغلغل في تاريخ أو وجدان الشعوب الإفريقية إن لم نعتمد على هذا التراث الذي بذلت في سبيل المحافظة عليه كل مقدرة وفن، فانتقل بكل مثابرة من فهم إلى أذن، من معلم إلى مزيد". [9]

لهذا صار من الضروري وضع هذا النمط من الأدب ضمن دائرة اهتمام كل النخب الإفريقية وأن تتناوله بالفحص والتحليل والدراسة لأنها المعنية الأولى بهذا الأدب وإن كان بعض المستفرقين الألمان قد كان لهم السبق في هذا المجال من خلال جمع ألوان شتى من هذا الأدب في صورة منتخبات من هذا الأدب.

– الشعر:

ظهرت الكثير من الأنماط الشعرية، منها ما دون باللغات المحلية ومنها ما دون باللغات الأجنبية (البرتغالية، الإنجليزية أو الفرنسية).

1. الشعر في اللغات المحلية:

نال هذا النمط من الشعر باللغات المحلية (الأمهرية في إثيوبيا، الهوسا في شمال نيجيريا، السواحلية في شرق إفريقيا، والبوروبا في غرب نيجيريا والصومالية، والزولو والسوتووالأفريكانية بجنوب إفريقيا) شرف السبق متجاوزا بذلك الشعر الذي كتب باللغات

---

[8] التراث الشفهي، والأدب المكتوب باللغات الإفريقية، ******/afréca.elnokhbaplish.comالأدب الإفريقي، 2022/09/14، 12.45.

[9] خضر عبد الرحمان عبد الحليم، التراث الثقافي للأجناس البشرية في إفريقيا بين الأصالة والتجديد، ط1، النادي الادبي الثقافي، م ع السعودية، 1985، ص 175.

الوافدة، وقد "بدأ الشعر في هذه اللغات بالأغاني والأهازيج، ثم تطرق إلى الأعراض الدينية والتعليمية، ولم يعبر عن قائليه إلى في فترات متأخرة...". [10]

ومن النماذج التي يمكن أن نمثل بها عن هذا النمط من الشعر المكتوب باللغات المحلية، ما كتبة شاعر جنوب إفريقي، يوقع قصائده باسم مستعار، يقول بلغة الزرساXhasa:

يظن البعض حتى الآن أننا لن نتكلم أبدا

فقد مزقوا أعمق أعماق وجودي

ومسؤوليات أسرتي وثرواتها

مازالت ترحل معي إلى القبر

... لأجل ماذا هذا الإنجيل

وما الخلاص؟ [11]

2. الشعر باللغة البرتغالية:

وقعت الكثير من الدول الإفريقية تحت الهيمنة الاستعمارية البرتغالية (جزر الرأس الأخضر Cap Vert، غينيا بيساو Guinée Bissau، أنغولا Angola، موزنبيق Mozambique، سار تومي وبرينيب Sao Tomé et Principé).

ظل الشعر الإفريقي المكتوب بالبرتغالية بتأرجح "بين الرومانتيكية والصوفية ويتردد بين الاستسلام والوعي بالزنوجة... ظهر بعدها جيل جديد من الشعراء في جميع الأراضي التي سيطر عليها البرتغاليون، وتميز الجيل الجديد بواقعية الرؤيا ووطنية التفكير والوعي بالحرية...". [12]

عرف الشعر في هذه المرحلة حالة من الدينامية أوجدها صراع خفي بين نمط شعري اندماجي مسالم قام على استنساخ النموذج الشعري البرتغالي ونمط شعري ثوري مقاوم اعتمدته مجموعة من الشعراء الشباب، تعرضت في سبيله إلى أنواع شتى من

---

[10] علي شلش، الأدب الإفريقي، المرجع السابق، ص 40.

[11] المرجع نفسه، ص 41.

[12] علي شلش، الأدب الإفريقي، المرجع السابق، ص 46.

التنكيل والتعذيب والشجن والنفي، و"يعد أجو سنتينونيتو (1922-1979م) ممثلا حقيقيا لهذا الجيل، الذي مزج الشعر بالحياة" [13] ومن بين القصائد التي كتبها أجو ستينونيتو:

إلى بيوتنا إلى أعمالنا إلى الشواطئ إلى حقولنا

يجب أن نعود

إلى أراضينا المضمرة بالبن، المبيضة بالقطن

المخضرة بالذرة

يجب أن نعود

إلى التنقيب عن الماس والذهب والنحاس والنفط

يجب أن نعود

إلى أنهارنا وبحيراتنا، إلى الجبال والغابات

يجب أن نعود

إلى نظرة شجر التين، إي أساطيرنا

وموسيقانا وثيراننا

يجب أن نعود... [14]

- الشعر في اللغة الإنجليزية:

تجرع الشعر الإفريقي مرارة الاغتراب اللغوي، وبالرغم من ذلك استطاع أن يستعير من المستدمر لغته هذه ويجعل منها أداة لإيصال صوته للآخرين، ولك يكتف بذلك، بل تمكن من البروز والوصول إلى الدوائر الأدبية العالمية والحصول من ثم على أعلى الجوائز وقد كان للشعر الذي كتب الإنجليزية الحصة الأكبر من الجوائز مقارنة بالشعر الذي كتب بالفرنسية أو البرتغالية، وقد أشار علي شلش في كتابه "الأدب الإفريقي" أن نصف ما كتب في الأدب الإفريقي إنما كان باللغة الإنجليزية ولربما يعود ذلك إلى طبيعة الاستعمار البريطانية المتسامحة بعض الشيء مع الثقافات واللغات المحلية عكس الاستعمار الفرنسي والبرتغالي الاستيطانيين المحاربين لجميع عناصر هوية الشعوب المقهورة.

---

[13] المرجع نفسه، ص 46.

[14] المرجع نفسه، ص 47.

تضمن الشعر الإفريقي الناطق بالإنجليزية في أربعينيات القرن الماضي موضوعات ذات صلة برفض الوجود الأجنبي والدعوة للحرية و****** وبعد الاستقلال تحول الشعر إلى الاهتمام ببناء الإنسان الإفريقي وضرورة مواجهة التخلف والأمية والضياع، وكانت نيجيريا أكثر الدول الإفريقية إنتاجا للعشر بالإنجليزية، ومن أهم هؤلاء "... كريستوفر أوكيجيو (1932-1967)، وولي سوينكا (1934)، جون بير كلارك (1935)، وفي غانا كوفي أنور (1935)، جون أوكاي (1941) وفي أوغندا أوكوت بيبتيك (1931-1982)، وفي كينيا: أوكيلوأوكولي (1942) وفي جنوب إفريقيا دنيس بروتوس (1924)...". [15]

ولعل أحسن من مثل هذا الجيل من الناحية الشعرية الشاعر النيجيري "كريستوفر أكيجيو) الذي راح ضحية الحرية الأهلية النيجيرية وهو لم يتجاوز الخامسة والثلاثين من عمره، يقول في إحدى قصائده:

ثمة صورة تلح

من سارية العلم في القلب

الصورة تلهى

بقسوة الوردة

ليس ثمة درع من صفائح الرصاص يقيني منك

فأحوجيني بسحنتك ذات الأعشاب البحرية

الهيام مثل عرافة قوية

إن مسافات عطر ******

تتحول إلى كلوروفورم

يغطي صبري

وحين تنتهين

وتفرغين من غرزات جرحي

أيقضيني قرب المحراب

[15] علي شلش، الأدب الإفريقي، المرجع السابق، ص 51.

وعند ذلك ستنتهي هذه القصيدة [16]

ظهر بعد هذا الجيل، جيل آخر من الشعراء، استهوته الحداثة فمال لها محاولا المزج بينها وبين الصور والرموز الإفريقية المميزة والخالصة. ومتناولا مواضيع من قبيل شعر الغربة والحنين إلى الوطن، شعر الغزل والحب، كما عبر عن الشعراء غداة الاستقلال عن فساد الأنظمة الحاكمة واستبدادها بالحكم فخرج من رحم هذه الأوضاع شعر وسم بشعر الرفض La poèsie de la contestation

– الشعر المكتوب بالفرنسية:

لعبت حركة الزنوجية دورا مفصليا في تطور الحركة الشعرية الإفريقية الناطقة باللغة الفرنسية في أربعينات وخمسينات القرن الماضي، من خلال إسهامات كل من ليو بولد سيدار سنغور، إيمي سيزار وليون داماس وقد "قاد هذا الثالوث الشعر الإفريقي المكتوب بالفرنسية منذ ذلك التاريخ، وأثروا في كثير من الشعراء الآخرين في البرتغالية والإنجليزية وكانت الزنوجية أشبه بكلمة السر في الشعر الإفريقي بالفرنسية". [17]

أنجبت السينغال كذلك شاعرين آخرين قدما الكثير من الدواوين الشعرية أثريا بهم المنجز الشعري الزنجي وهما على التوالي الشاعر بيرا جو ديوب BiragoDiop (1906-1989) ودافيد ديوب David Diop (1927-1960)، لكن "يظل سنغور أهم شاعر إفريقي كتب بالفرنسية، لا لأنه صاحب دور وطني وسياسي مرموق وإنما لأن شعره من الموهبة والأصالة والغزارة...". [18]

وتعد بواكير الأعمال الشعرية السنغورية هي أفضل وأجود ما كتب، "... ففيها حمية الشباب، وأصالة الموهبة ودفء الروح ومأساوية التفاؤل وتدفق الرقة وإنسانية الرؤية". [19]

يقول سنغور في قصيدة "طي الذكرى" من ديوانه الأول، بعدما كان قد شارك في الحرب العالمية الثانية وتم أسره، متوجسا من الحديث عن السلام المزعوم:

اليوم يوم الأحد

ينتابني الخوف من وجوه زملائي الحجرية المزدحمة

ومن برجي الزجاجي الذي تسكنه ألوان الصداع

---

[16] علي شلش، الأدب الإفريقي، المرجع السابق، ص 53.
[17] علي شلش، الأدب الإفريقي، المرجع السابق، ص 56.
[18] المرجع نفسه، ص 58.
[19] المرجع نفسه، ص 60.

والأسلاف القلقين

أرى الأسطح والتلال ملفوفة بالضباب

بالسلام، وأرى المداخل مهيبة وعالية

ينام عند سقوطها موتاي

يا لأحلامي صارت هباء كلها

كل أحلامي

فالدم يسطع بالمجان في الشوارع

ويختلط بدم المسالخ [20]

لكن هذه الأطروحة الزنجية في الشعر لم تكن لتعمر طويلا أو تكن غنية عن النقد، فقد ظهرت أجيال إفريقية ****** ****** من القداسة التي لكالما لبستها حركة الزنجية، لا بل وتمردت على هذا التوجه الشعري الزنجي، ومن بين هؤلاء "إبراهيمية صال" التي تقول على لسان حبيبة لحبيبتها:

إنك تدمر ****** ***** *******

وتشل تفكيري بمذاهبك المعصومة من الخطأ

الرأسمالية، الاجتماعية، الاقتصادية، الشيوعية، البرجوازية

أصاحبتني فخمة مما تلقيه علي من

من الزنجية والبيضة والصفرية والخمرية [21]

يكاد يجمع النقاد على أن الشعر الزنجي بقيادة ثالوث حركة الزنوجية قد تربع على الحياة الأدبية الشعرية في القارة الإفريقية جنوب الصحراء بالرغم من أسبقية الشعر المكتوب بالإنجليزية في الظهور وبالرغم من اختلاط المذاهب والمدراس في هذا الشعر، لكنه يظل مرجعا لا يمكن تجاوزه لأي باحث يريد أن يتابع معترك البحث في الشعر الإفريقي جنوب الصحراء.

– الرواية:

---

[20] المرجع نفسه، ص 60.

[21] علي شلش، الأدب الأفريقي، المرجع السابق، ص 63.

– الرواية في اللغات المحلية:

يرى الباحثون في الشأن الروائي الإفريقي، أن الرواية في هذه القارة ظهرت في جحر العمليات التبشيرية ومن ثم سيطرت عليها النزعة الوعظية والتعليمية، لكنها وإن لم تكن بمستوى الرواية التي أعقبتها من الناحية الفنية إلا أنه كان له شرف السبق "ويعد توماس هوقولو (1876-1948) الذي كتب بلغة السوتو رائد هذه المحاولات وأكثر كتابها أصالة ونضجا..." وقد ظهرت هذه الرواية أول الأمر في جنوب القارة لتنتقل بعد ذلك إلى شرق إفريقيا وغربها، "ففي الغرب نشطت محاولات تأليف الرواية بلغات البورولا والهوسا والأيبو... كما نشطت محاولات أخرى في الشرق باللغة السواحلية في تنزانيا والأتشولية في أوغندا... لكن هذه المحاولات لم تخرج عن دائرة المغامرات الفردية. [22]

وقد برز في هذه المرحلة الروائي دنيال أولورونغيميفاجونوا الذي كتب ست روايات كان أهمها رواية "الصياد الشجاع في غابة الآلهة والألف".

[22] المرجع نفسه، ص 131.